

فرنسا والتطرف



العلمانية الشرسة أو العوانية، أو التي تجرؤ على توجيه الإهانات، لا تخدم نفسها، ولن تنجح في كبح التطرف ولا حتى بعد مليون سنة، لأنها تغذيه.

العقلانية، في نهاية المطاف، هي السبيل الصحيح، على الجانبين. المسلمون يخوضون الحرب ضد التطرف. ولكنهم، في الغالب، يفتشون في توفير قراءة عقلانية للنص الديني. وعندما تكون لهذا النص مقاصد حياتية، فإنهم يفتشون أيضا في تنظيمها على نحو يتلاءم مع مجرى التاريخ.

ويحسن بفرنسا، لكي تعود فرنسا الأنوار، أن تواجه مشاكلها مع العنصرية والتطرف اليميني والانتهازية الثقافية التي حولت العلمانية إلى أداة من أدوات الإهانة والتجريح. وليس من اللائق أن تتعالى العلمانية على المسلمين قبل أن تحل مشاكلها مع عار العنصرية والتمييز والتهميش الذي تعيش فيه.

لا تنس حقيقة أن الملايين من المسلمين الفرنسيين يعيشون في ظل أوضاع مزرية حقا. الفقر والبطالة والتهميش كانت دافعا لعدة انتفاضات أصلا. النار موجودة. ولم تتمكن "العلمانية" الفرنسية من إطفائها، ولا من حماية حقوق المنبوذين والمهمشين. ولهذا فإنها لا تستحق حتى الدفاع عنها. ولا يمكن لضحايا الفشل فيها أن يعتبروها شيئا يستحق الاحترام من الأساس. ومن السهل بالتالي أن يجدوا أنفسهم يبحثون عن إطار ثقافي مضاد. وفي الغالب، فإن أول ما يعثرون عليه هو ثقافة الفشل التاريخي على الطرف الآخر.

الإسلام الغريب عن الإسلام، معضلة يتعين على المسلمين أن يواجهوها بأنفسهم. وما لم تكن الثقافة الفرنسية قادرة على مساعدتهم، أو على استيعاب المسلمين، فهذه مشكلتها الخاصة التي يتعين على المثقفين الفرنسيين أن يواجهوها بأنفسهم أيضا.

وَالْمُضَارِّي وَالْجُورِي وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (الحج 17)

ولكن ثقافة القتل والتكفير غلبت في الاتجاه المضاد، حتى بررت قتل مصليين في كنيسة. شيء عجيب فعلا.

تنظيمات من قبيل الإخوان المسلمين والقاعدة وداعش وغيرها، لا تحتاج أن تستقطب أعضاء جندا. يكفي أن تبتثقافتها. فيتحوّل الإرهاب والجريمة إلى شيء مقدس يمكن أن يرتكبه أناس يبدون بسطاء وأمنين، وليست هناك علامات يمكن أن تلتقطها أجهزة المخابرات تدل على تطرفهم أو على استعدادهم المحتمل لارتكاب أعمال عنف.

المعركة بهذا المعنى هي معركة ثقافة، لا معركة شرطة. اللجوء إلى "الشرطوية"، خيار غبي. ليس لأنه يصب الزيت على النار فحسب، ولكن لأنه يخدع عن الطريق الصحيح، ويمكن أن يقود إلى كارثة اجتماعية حقيقية، وبالتالي كارثة أمنية أسوأ.

الإنصاف، في العلاقة بين بشر وبشر، أن يستغل أحد ما حرية التعبير لكي يسبى للآخرين؟

حتى المجانين لهم حقوق. والمسلمون ليسوا مجانين. واحترام معتقداتهم لا يضر العلمانية بشيء على الإطلاق. ولكن عندما تتحول العلمانية إلى غطاء للعنصرية، أو لموقف يميني متطرف يتقصّد الإساءة والتجريح، أو حتى للتصرف الغبي، أو للكوميديا السخيفة، كما تفعل "شارلي إيبدو"، فإن الأمر لا تعود له أي علاقة بقيمة العلمانية. السخيف سخيف في النهاية.

ولقد وضع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون نفسه في زلة قدم متعمدة، وجاهلة حقا، عندما أعلن تمسكه بالسخف بوصفه جزءا من حرية التعبير.

هذا موقف هو نفسه متطرف. ليس لأنه جارح فحسب، بل لأنه عنيد، ويتعمد سوء الفهم أيضا.

لا يهم كم هو ضار عندما يتحول إلى فرصة انتهازية يستغلها رجب طيب اردوغان ليغطي بها أعماله العدوانية واستفزازاته وجرائمه، ليظهر وكأنه يدافع عن الإسلام، ولكنه ضار عندما يصبح تعلقة للمزيد من الانتعازية والتطرف. ذلك شيء يشبه صب المزيد من الزيت على النار.

هل لا توجد أزمة في الإسلام؟ بل، توجد أزمة. ولكنها أزمة ثقافة بالدرجة الأولى؛ أزمة مرجعيات فقهية لم تتمكن من مواكبة العصر. كما أنها لم تتمكن من مواكبة القيم الإنسانية الرفيعة للإسلام نفسه.

هذه مفارقة، قد تبدو عجيبة فعلا. ولكنها قائمة، ويعاني المسلمون من عواقبها أكثر من غيرهم. إنها دليل واضح على مدى الضياع الذي يعيشون فيه. لا هم تمكنوا من إقامة نظام حكم رشيد في معظم بلدانهم، ولا هم تمكنوا من التخلص من مظاهر الفساد والاستبداد، ولا هم أقاموا أنظمة قانون تحفظ قيم العدالة والمساواة. والإسلام

تتمضي فرنسا، في مواجهة التطرف، في الطريق الخطأ. وهذا لن يفضي إلى حل. هناك خمسة ملايين مسلم فرنسي. وعندما يتم استدعائهم بطريقة فجأة، فذلك ما لا يخدم السلام الاجتماعي، ولا العلمانية نفسها. غني عن القول إن حرية التعبير حق مقدس، بعلامة أم بغيرها. ولكن ليس من حق أي أحد أن يستخدم حرية التعبير لتوجيه الإهانة لحشد هائل من البشر. حرية التعبير شيء، وتوجيه الإهانات شيء آخر. حق أي إنسان في التعبير يتوقف عندما تبدأ حقوق الآخرين. هذه هي القاعدة. ومن حق المسلمين، في فرنسا، وفي كل العالم أن يُعاملوا باحترام. هم ومعتقداتهم على حد سواء.



علي الصراف
كاتب عراقي

فرنسا لكي تعود فرنسا الأنوار يحسن بها أن تواجه مشاكلها مع العنصرية والتطرف اليميني والانتهازية الثقافية التي حولت العلمانية إلى أداة من أدوات الإهانة وليس من اللائق أن تتعالى العلمانية على المسلمين

لنفترض أن هؤلاء الناس مجانين. يعتقدون بسبب جنونهم ذاته، أن الرسول محمد لا يُمس، لأن حبه من حب الله، وأنهم يمكن أن يقتدوه بأرواحهم. وهو أعلى عندهم من كل شيء ومن أي أحد. فهل من العلمانية في شيء أن تهين مجنونا لم يؤذك؟ هل من

الغرام بالتقاط الصورة في المشهد الليبي

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

واضحة بعيدة عن البازار السياسي، وتجنب تكرار التوصل إلى اتفاق مشوه بعيد إنتاج الأزمة ويضعها في ثوب جديد.

يتطلب الحل العزوف عن مسالة اللقطات المموجة، حيث أرهقت ليبيا، ودفعت المواطنين ثمنا باهظا لها، ومنحت الميليشيات والمرتزة مزايا نوعية كبيرة، وأتاحت الفرصة لدولة مثل تركيا لتوسيع نفوذها على الأرض، وخلقت شبكة مصالح جعلت عملية اقتلاعها صعبة، وتحتاج إلى جهود كبيرة.

وصل توظيف اللقطات حدا مخيفاً، فقد حدثت إدانات للدول التي ترسل المرتزة، لكن لم يتم التعامل بحسم مع تركيا زعيمة المرتزة الجدد، فالعالم كله يعلم أنها المورد الأول لهم في ليبيا وغيرها.

جرت استعراض قوة من جانب بعض الدول الأوروبية في البحر المتوسط لوقف عمليات تهريب السلاح، وتطبيق قرار مجلس الأمن بحظره، ولم يتم توقيف سفينة واحدة محملة بالمعدات العسكرية متجهة من تركيا إلى ليبيا لتتجنب الإدانة.

فهمت أنقرة أن الرسائل التي تأتي إليها بمثل هذه الطريقة ضعيفة وغير مجدية، لأن تصوراتها حيال ليبيا وفي المنطقة عموما تقوم على "الشو" وتركيب اللقطات لتخلق في النهاية صورة ذهنية قوية تغنيها عن اللجوء إلى الدخول في صدامات مباشرة.

تجيد الكتابات المسلحة في طرابلس فن الاستعراض من باب إظهار القوة العسكرية، وتوصيل إشارات بان وجودها مستمر، وكثفت من ذلك الفترة الماضية بعد أن ظهرت تحركات تميل نحو الحل، ولجات إلى تصفية حسابات مع ميليشيات مناوئة لتعزيز نفوذها، وضمان عدم غروب الشمس عنها، حال التوصل إلى تفاهات في المستقبل.

دخلت فكرة اللقطة الساحة الليبية من أوسع أبوابها، للدرجة التي أضحت فيها الأمور غامضة، بما ضاعف من صعوبة التفرقة بين الحقيقي والمزيف، وتحديد الفواصل بين السمين والغث، بشكل ينهك الراغبين والمهمومين بحل الأزمة، التي وضعت فوق موقد مشتعل، لا أحد يستطيع تقدير موعد الإطفاء.

لن تفلح العروض التي تقدم على المسرح الليبي في حل أزمة مستعصية مستمرة منذ حوالي عشر سنوات، ربما تحقق لأصحابها ومن أجادوا تمثيلها بعض الفوائد، لكن لن تتمكن من إقناع الناس بأن هناك جدية عامة لوقف المعاناة المستمرة ورفعها عن كاهلهم، ولن تغفر جريمة من زجوا بليبيا في هذا المستنقع.

العروض التي تقدم على المسرح الليبي لن تفلح في حل أزمة مستمرة منذ عشر سنوات، ربما تحقق لأصحابها بعض الفوائد لكن لن تتمكن من إقناع الناس بأن هناك جدية لوقف المعاناة

وأمل هؤلاء أن تبدد الصور التي جمعت المتخاصمين في ليبيا وقادة ومسؤولين في دول مختلفة، الاتهامات الموجهة إليهم بالاستمرار في الأزمة وإطالة أمدها، ورفع الحرج عنهم بشأن عدم القيام بالدور اللازم والكامل لوقف الاقتتال، وعلق أنبوب العبث بمقدرات الشعب الليبي.

في تقديري، تتعثر التحركات التي تنطلق من رحم اللقطات المتباينة، ولن تتمكن من تغيير الصورة النمطية عن هؤلاء، فلا فائز السراج سيصبح بلا قومي يخرج الناس في مظاهرات للمطالبة به كرئيس للحكومة الجديدة المرحلة المقبلة، ولا البيعة الأمامية سوف تتحول إلى مصدر وحيد للعناية السياسية، ولا القوى الكبرى قادرة على أن تغسل أيديها من الدماء التي انتشرت في ليبيا.

وتحتفي البيعة الأمامية في ليبيا بعقد أول اجتماع للجنة العسكرية (5 + 5) في غدامس، كأول لقاء يعقد في الداخل خلال الفترة من 2 إلى 4 نوفمبر الجاري، وهي خطوة مهمة، لكن محتواها الحقيقي ضئيل في مسار الأزمة، ما لم يتم اتخاذ خطوات جادة لتنفيذ ما تتفق عليه اللجنة، وتستكمل به ما بدأت في لقاءاتها السابقة، فالحرص على اللقطة لن يصنع سلاما، ولن يقود إلى خروج تركيا من ليبيا.

ظلت اللقطات الدولية تتوالى في المشهد الليبي، من إصرار على عقد منتدى الحوار السياسي في تونس من دون إعداد جيد وتنقية لأسماء الحاضرين من تجبيره نحو أهداف معينة تخدم المتطرفين، إلى الزيارات المكوكية التي تقوم بها رئاسة البيعة الأمامية بالإنابة للترويج على أنها قادرة على قيادة البيعة، وتستحق تعيينها رسميا.

مرت الأزمة الليبية بمشاهد أكدت أن قوى مختلفة في المجتمع الدولي باتت مغرمة بفكرة اللقطة، وعلى استعداد للوصول بها إلى أقصى مدى، ولا تعبا بعواقبها، فالهم أن يرى العالم أن هناك ضجيجا، أو ملتقى، أو منتدى، أو اجتماعا، أو مبادرة تتحرك حول ليبيا،

تحتفي البيعة الأمامية في ليبيا بعقد أول اجتماع للجنة العسكرية (5 + 5) في غدامس، كأول لقاء يعقد في الداخل خلال الفترة من 2 إلى 4 نوفمبر الجاري، وهي خطوة مهمة، لكن محتواها الحقيقي ضئيل في مسار الأزمة، ما لم يتم اتخاذ خطوات جادة لتنفيذ ما تتفق عليه اللجنة، وتستكمل به ما بدأت في لقاءاتها السابقة، فالحرص على اللقطة لن يصنع سلاما، ولن يقود إلى خروج تركيا من ليبيا.

ظلت اللقطات الدولية تتوالى في المشهد الليبي، من إصرار على عقد منتدى الحوار السياسي في تونس من دون إعداد جيد وتنقية لأسماء الحاضرين من تجبيره نحو أهداف معينة تخدم المتطرفين، إلى الزيارات المكوكية التي تقوم بها رئاسة البيعة الأمامية بالإنابة للترويج على أنها قادرة على قيادة البيعة، وتستحق تعيينها رسميا.

مرت الأزمة الليبية بمشاهد أكدت أن قوى مختلفة في المجتمع الدولي باتت مغرمة بفكرة اللقطة، وعلى استعداد للوصول بها إلى أقصى مدى، ولا تعبا بعواقبها، فالهم أن يرى العالم أن هناك ضجيجا، أو ملتقى، أو منتدى، أو اجتماعا، أو مبادرة تتحرك حول ليبيا،



محمد أبو الفتح
كاتب مصري

قل ما شئت عن الأزمة الليبية من تعقيدات داخلية وتشابكات ومؤامرات خارجية، وقل ما شئت عن النقائص والتواطؤ، والجدية والإخلاص، ولا تنسى غرام الكثير من الشخصيات والقوى المعنية بالأزمة بالسعي نحو الصور الجذابة، أو "اللقطة" بلغة أهل الفن، و"الشو" عند غيرهم من المغرمين بالاستعراض ولفت الأنظار.

قد تكون هذه القضية جانبية لدى البعض، ويراهم آخرون أصبحت ظاهرة في الحياة السياسية والاجتماعية عامة، غير أن تكرارها بكثافة في ليبيا، جعل منها عنصرا مهما في سير الأحداث، يفسر الآلية التي تدار بها الأزمة، ومدى قدرة اللقطة والشو والاستعراض على إنقاذ من يلجأون للتركيز على شكل الصورة قبل مضمونها، وتحويلها إلى ورقة مؤثرة.

لتقريب المشهد أكثر يمكن تسليط الضوء على مجموعة من التطورات، استحوذت فيها اللقطة على الأهداف السياسية، فرئيس حكومة الوفاق فايز السراج أعلن في منتصف سبتمبر الماضي استعداده للتخلي عن منصبه قبل نهاية أكتوبر، وهو يعلم أن الأزمة حافلة بالتعقيدات التي لن تمكن المنخرطين فيها من تشكيل حكومة جديدة.

وقتها بدا الرجل غير متشبث بالسلطة أو مكترث بها، ويعيد عن الدوافع والضغوط التي أدت إلى هذا الموقف، فقد حصل السراج على ما اراده من اللقطة المفاجئة، وانتقل من مذنب جلب تركيا والتها العسكرية إلى بلاده ومنحها امتيازات كبيرة، إلى شخص وطني حريص على مصلحة ليبيا.

قال "الشو" ذاته عندما أعلن الجمعة 30 أكتوبر، استمراره في منصبه، نزولا عند "رغبة الجماهير الغفيرة" ومصصلحة بلاده، وانتقالا للضغوط الدولية التي طالبته بالتضحية من أجل ليبيا والبقاء في مقعده، متصورا أن هذه اللقطة وسابقها كافيتان لتحصين صورته، وتعويمه سياسيا مرة أخرى.

